إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه أما بعد:

- موعدنا اليوم مع الدرس الأول من دروس العقيدة ، ولكن قبل أن نبدأ في الكتاب، نسأل سؤالًا هامًا: ما هي العقيدة ؟ ولماذا نهتم بدراستها ؟

العقيدة في اللغة :

- من عقد الشيء وربطه ، والعقد أى الربط بشدة (مثل ربط الرجل الحبل، وعَقَد عقدةً فيه)، فالعقيدة تأتى من هذا المعنى، بمعنى أن الإنسان يربط معتقده - أي كل ما جاء من عند الله عز وجل وآمن به - في قلبه بشدة، ولا يحل تلك العقدة شيٌ قط.

- فانتبه لهذا المعنى، فقلبك في حاجة لذلك، يجب أن تكون العقيدة في قلبك معقود عليها ومربوطة بقوة، فلا تهزك شبهة، ولا يتلاعب بك زائغٌ فاسق، فتكون قويًا بقوة إيمانك بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

- لماذا الاهتمام بالعقيدة ؟

- لأن أي خلل وفساد في حياتنا وأفعالنا سببه فساد الاعتقاد، أي مشكلة أيًا كانت (بخل ، كذب ، نفاق ، رياء ، غيبة ونميمة)، أي ذنب في الدنيا يُقترف، و أي معصية تُرتكب وأي فساد في الأرض سببه فساد الاعتقاد، ولو صحَّ الاعتقاد لصحت أحوال العباد وقلوبهم .

- ولننتبه لهذا الأمر جيدًا، فيجب أن يكون أصل من الأصول لدينا، وأساس متين لا يُزحزح. فلو صحَّ اعتقاد البخيل ما بخل بالمال، ولو صحَّ اعتقاد المرائي ما رائى؛ لأنه يعلم أن القلوب بيدي رب العباد ، ولو صحَّ اعتقاد المغتاب النمام ما اغتاب ولا نم، فلو علم أن الله رقيبٌ سميعٌ ، وأنه ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ما اغتاب وما نم.

- وكل ما ذكرنا هو انحراف العبد من ناحية الشهوات، وبالمثل أيضًا انحرافه من ناحية الشبهات، فسبب زلـله وإنزلاق قدمه فيه هو فساد اعتقاده وجهله بالعقيدة، فلا يثبت أمام أي شبهة تلقى عليه، وإن كانت واهية هينة.

البرمجة العصبية اللغوية، والتنمية البشرية

ومثال لذلك شبهة ما يسمى بالبرمجة العصبية اللغوية والتنمية البشرية، فيجذبون العبد المحب لدينه بحفظ القرآن في شهرين، وكأنه سيصبح له قوة خارقة في الفهم والحفظ والتحصيل، وقد قال ربنا جل وعلا: { فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ } [الأنبياء : ٧٩]، وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ» [مسلم: ٢٦٥٥] .

- فقوله تعالى: { فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ }: نزلت هذه الآية في سليمان وأبيه داود عليهما السلام- وكلاهما نبي - وتعرضا للحكم في قضية معينة، ووفق الله عز وجل سليمان للحكم، فكان حكمه أقوى. فهناك فروق بين البشر، فروق في العقل والفهم، وفُروق في التَّلقي ، لم يُخلق البشر بصفاتٍ وقدراتٍ متساوية، ومن ادَّعى ذلك فقد كذب، فهناك متوسط وضعيف وعالي الذكاء، وهناك من لديه قدرة عالية على الحفظ، وآخر يفتقد تلك القدرة أو ضعيف الحفظ.

- أما من أوهم الخلق أن لديهم طُرقًا تجعلهم يحفظون ويفهمون بخطوات محددة إلى آخر ذلك وما شابهه فقد أخطأ، فالعقول متفاوتة، وهذه الدرجات وضعها الله جل وعلا لحكمة، فلو تساوت قدرات البشر لما اختلفت المهن، فمن هو شديد الذكاء يكون عالمًا أو معلمًا، ومن له قدرة أقل يمكن أن يمتهن مهنة تناسب قدراته، ولو تساوت القدرات لما وجدنا خادمًا يخدم أو عاملًا يعمل، فالجميع وقتها سيتطلع لمناصب وأعمال تليق بقدراتهم العالية، ويفتقد المجتمع من يمتهن مهن هي أساسية ومهمة في حياتنا.

- فربنا خلق هذا الكون بحكمته وهو الحكيم، ومن فساد الاعتقاد أن يظن أحد الخلق أنه قادر على مساواة العقول بعضها ببعض، فإرادة الله هي التفاوت بينها كما وضحنا.

كثرة الشبهات على المسلمين وتنوعها

- ابتلينا للأسف بشبهات كثيرة خصوصا في عصرنا الحالي، فهذا يُبدِّع أهل العلم والفضل، وهذا يُكفِّر عوام المسلمين، وإن لم تقر بتكفيره لهم اتهمك بالكفر أيضًا، بحجة أنه من لم يكفر الكافر فهو كافر، وهي كلمة حق أرادوا بها باطلًا؛ لأنهم لو قرأوا نصوص الكتاب والسنة لعلموا أن التكفير له ضوابط، وينبغي له اجتماع شروط وانتفاء موانع، فمن يحكم على عبد من عباد الله أنه كافرًا فقد حكم عليه أنه مخلدًا في النار، كأبي جهل وغيره، وهذا لا يكون إلا بضوابط قوية جدا لا شبهة فيها ولا لبس، ولكن الأمر انتشر الآن ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- وانزلاق الناس في هذه الطرق الضالة لم يحدث إلا بفساد المعتقد، وبالجهل عن الله عز وجل ورسوله، فلا قرآن يقرءون ولا سنة يدرسون، فلو تعلموا العقيدة الصحيحة لما زلت أقدامهم في مثل تلك الطرائق.

ماذا لو صح الاعتقاد؟

- لو صح اعتقاد من سرق وارتشى، واستولى على أموال هذا، وسفك دم هذا للحفاظ على ماله وجاهه ومنصبه لما فعل كل هذه الشرور ولعلم أن الرزاق هو الله جل في علاه، ولعلم أنه رقيب عليه، وأن هناك يوم آخر لا مفر منه ولا يظلم الله فيه أحدًا .

- لو صح اعتقاد الأخت التي تشكو من تأخر زواجها لما توهمت أن كل ما يصيبها في دنياها هو سحر وعمل وحسد ومس إلى ما شابه، لو صح اعتقادها لعلمت ما هو السحر وعلاماته وكيف يصرفه الله عنها، ولما ذهبت لدجال وعراف وكاهن، معتقدةً أن غير الله يكشف عنها الضر، ويجلب لها النفع، فتتلبس بشركيات ما أنزل الله بها من سلطان، وقد تكون من البداية لا سحر فيها ولا مس، قد يكون ما أصابها هو ضيق صدر أو اكتئاب أو مرض عضوي، لكن كل هذا الشطط سببه فساد الاعتقاد كما وضحنا.

- لذلك فاعلم أن أي معصية أو ذنب أو ضلال يحدث، فسببه فساد التصور ولا بد، لذلك نبدأ العقيدة ونؤسسها ونستمر فيها لسنوات ونتدرج فيها ونُثبّتها، ليكفيك الله كل هذه الشرور وليعينك على بقية أمور دينك، فالعقيدة الدين كله؛ لأنه لو لم يصح اعتقاد العبد لضل في بقية الأبواب ولا بد.

كلمة لحفظة كتاب الله نفع الله بهم.

- اهتمام العبد بحفظ القرآن عمل مهم وفيه من الخير الكثير، وقربى يتقرب بها العبد لربه. لكن على العبد ألا يكتفي بالحفظ فنحن مأمورون بفهم معانيه، والعمل بما فيه، والوقوف عند حدوده ونواهيه، فالاكتفاء بالحفظ فقط لا يصح، فالجهل بالأحكام، وبالناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وبقية علوم القرآن لا يليق بالأخت الحافظة الراغبة في رضا الله جل في علاه.

- ولننتبه جميعًا أن قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» [البخارى:٥٠٢٧] فيه أن الخيرية لمن تعلم القرآن لا لمن حفظه فقط وجوّده واكتفي بذلك، فمن يكتفي بذلك ويترك الفهم والعمل يترك للشيطان فرصة عظيمة لغوايته ومحاولة إضلاله، وستزل قدمه في أفعال لا تليق أبدًا بعبدٍ صالح مستقيم يحمل كتاب الله ، ولفقد من الخير الكثير واستبدل الأدنى بالذي هو خير، وربما ضل وأضل.

- فارجو من الجميع ومنهم معلمي ومعلمات القرآن الاهتمام بحضور مجالس العلم، مجالس دراسة المعتقد الصحيح، فيبدءون من الآن - من بداية الطريق - ولا يتعجلن أبدًا فإنما العلم بالتعلم.

- كتاب ٢٠٠سؤال وجواب في العقيدة كتاب بسيط ميسر بإذن الله، كتبه الشيخ الحكمي وهو شيخ من المعاصرين توفي سنة (١٩٥٨) ميلاديًا أي لم يمر على وفاته ستون عامًا تقريبًا، ومات وكان قد بلغ من العمر خمسة وثلاثون عامًا تقريبًا.

- وكان في هذه السن الصغيرة قد بلغ مبلغًا من العلم وصنف المصنفات وزكَّاه العلماء، وكُتبه تُدرس إلى الآن وهذا من بركة العلم وإخلاص صاحبه، ومن كتبه الكتاب الذي بين أيدينا الآن، وكتاب معارج القبول وغيرها.

- فراجع إخلاصك وصدقك دومًا، ولا تكف عن سؤال نفسك هل أنا مخلص في طلبي للعلم ؟ أم ابتليت بحظ النفس أو بأي مرض قلبي يعرض لي في طريقي للطلب !

س١ : ما أول ما يجب على العباد؟

ج: أول ما يجب على العباد معرفة الأمر الذي خلقهم الله له، وأخذ عليهم الميثاق به وأرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم، ولأجله خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة وفي شأنه تنصب الموازين وتتطاير الصحف وفيه تكون الشقاوة والسعادة وعلى حسبه تقسم الأنوار (وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ) .

* طريقة الشيخ في الكتاب هي السؤال والجواب وهذا ييسر أمر الحفظ والفهم على الطالب، ويتعلق السؤال بجاوبه في ذهنه أكثر من الطرق الأخرى.

- فأول ما يجب على العبد معرفته كما ذكر الشيخ هو لماذا خلقه الله عز وجل ؟ ولماذا خلق خلق السموات والأرض وأرسل الرسل وأنزل الكتب ونصب الموازين يوم القيامة والصحف وتطايرها و الجنة والنار ، لماذ خلقت كل هذه الأمور ؟

س٢: ما هو ذلك الأمر الذي خلق الله الخلق لأجله ؟

ج: قال الله تعالى : { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ} «الدخان ٣٨» ، وقال سبحانه : { مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ } [الأحقاف : ٣]، وقال تعالى (وَخَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

يُظْلَمُونَ) [الجاثية: ٢٢] ، وقال تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات :٥٦].

* أول ما يجب على العبد معرفته في حياته الشيء الذي خلق من أجله بعد التوحيد بالطبع- شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله - هو معرفته أنه سبحانه ما خلق الخلق ولا أرسل الرسل والكتب إلا لعبادته وحده سبحانه، وهذا إذا صح تصوره ولم يُصب العبد بفساده.

- ففاسد التصور لا يعلم لماذا خُلق، ولا ما أمر به، ولا ماسبب دخول الجنة أو دخول النار، وفيم العذاب وفيم النعيم، وبسبب مثل هذا الفساد ومع البعد عن كتاب الله وسنة رسوله وسوء الأدب مع الله يصل هذا الشخص والعياذ بالله إلى الإلحاد.

- فيجب أن يكون الأمر بالنسبةِ لك جلي وواضح **{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}**، خُلقت لعبادته وحده لا شريك له، وقيل في ليعبدون : ليطيعون ، العبادة : هي الطاعة لله سبحانه وتعالى .

س٣: ما معنى العبد ؟

ج: العبد إن أريد به المعبد أي المذلل المسخر، فهو بهذا المعنى شامل لجميع المخلوقات من العوالم العلوية والسفلية من عاقل وغيره ورطب و يابس و متحرك و ساكن و ظاهر و كامن و مؤمن و كافر وبر وفاجر وغير ذلك، الكل مخلوق لله عز وجل مربوب له مسخر بتسخيره مدبر بتدبيره، ولكل منها رسم يقف عليه وحد ينتهي إليه وكل يجري لأجل مسمى لا يتجاوزه مثقال ذرة ذلك تقدير العزيز العليم تدبير العدل الحكيم، و إن أريد به العابد المحب المتذلل خص ذلك بالمؤمنين هم عباده المكرمون، و أولياؤه المتقون، الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون .

* كلمة العبودية أي: التسخير والتذليل، يقول طريق معبد : أي طريق مذلل ميسر ممهد ، وُطِئ بالأقدام كثيرًا فأصبح معبدًا مذللًا.

- والعبودية قسمان :

- عبودية عامة .

- عبودية خاصة .

- **العبودية العامة** : التى قال فيها سبحانه وتعالى : { **إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا** } [مريم :٩٣] .

- والمقصود أن كل من في السماوات والأرض يعبدون الله مذللين ومسخرين من قِبل الله تبارك وتعالى لا بإرادتهم ، يعنى لا يستطيع أهل السماوات والأرض أن يدفعوا ضرًا مسَّهم، أو يفروا من قدر قُدر عليهم ، فهذه هي العبودية العامة، فهم عبيد لله مسخرين ومذللين له ولا يستطيع أحدٌ أن يتنصل من هذه العبودية العامة، فالله عز وجل عليهم قادر شاءوا أم أبوا، فستجري عليهم المقادير رضوا بها أم سخطوا عليها، فإن أراد الرب لهذا المرض لأصابه، ولا يستطيع أحدٌ دفعه إلا أن يشاء الله شيئًا، حتى وإن أخذ بالأسباب وسعى فيها على قدر وسعه، فكم من مبتلى بمرضٍ مزمن ما استطاع أحدٌ أن يشفيه، وهذا معلوم ومشاهد.

- فالعبودية العامة عبودية تسخير للأشياء ، فلو اجتمع أهل السماوات والأرض كلهم ليأخروا الشمس عن موعدها ساعة أو يعجلوها عنه ساعة ما استطاعوا، ولو اجتمع الخلق أجمعين لدفع الموت عن أحدهم لعجزوا ولا بد.

س٤ : ماهي العبادة ؟

ج: العبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة والبراءة مما ينافي ذلك ويضاده .

* علينا أن نصحح المفهوم المنتشر بين المسلمين وهو أن العبادة عبارة عن صوم وصلاة وزكاة فقط، فالعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة وهذا هو تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

- وهذا هو المقصود بالمعنى الثاني للعبودية وهي العبودية الخاصة : وهي عبادة الله الواحد الأحد بما جاء في شرع الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

- ولنمعن النظر في هذا التعريف، فقوله " من الأقوال " : يقصد به أن كل قول طيب ينطق به العبد ويرضى الله عز وجل هو عبادة له سبحانه لو نوى العبد ذلك، قال النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَة " [مسلم :١٠٠٩] .

- فإرشاد الخلق للخير هو من الأقوال التي يحبها الله عز وجل ويرضاها، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(وخير الناس أنفعهم للناس)** رواد الدارقطني في الأفراد، وحسنه الألباني في الصحيح ٤٢٦، فبمكالمة قصيرة قد تدلين أخت على خدمة دعوية جيدة على وسيلة للتواصل الاجتماعي لشيخ من مشايخنا الأفاضل، فكل كلمة طيبة تسمعها الأخت وتتأثر بها، وكل عبادة تتعلمها أو تتذكرها فتعمل بها في ميزان حسناتك، فلو أعطيت طالب علم ورقة وقلم، فكل ما كتبه هذا الطالب لك فيه أجر بفضل الله وكرمه عليك، قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ " صحيح الترمذي ٢٦٧٠

- ومن الأقوال التي يرضاها الله عز وجل وتُعد من الكلم الطيب: "جبر الخواطر " فتطييب خاطر من أصابه ابتلاء، أو السؤال عن حال من ابتلي بضيق وكرب، وسماع شكواه

وحاله ونصحه بما يفتح الله عليك به وإدخال السرور على قلبه بالرغم من انشغالك هو عبادة عظيمة عند الله، ويسيرة على كثيرٍ منا فربما بجلسة لا تتعدى الدقائق وأنت في مكانك بدون تعب ولا عناء تأخذ الكثير والكثير من الحسنات بالاحتساب وإصلاح النوايا وابتغاء وجه الله عز وجل، فاحتسب .. فالمؤمن الذكي الفطن يحتسب كل كلمة تنطقها شفتاه لينل أجرًا عظيمًا، وربك شكور يجازي على القليل بالكثير.

- ولا تستصغر أي عبادة مهما كانت وخذ بوصية نبيك صلى الله عليه وسلم **(لا تحقرَنَّ من المعروفِ شيئًا ، ولو أن تلقَى أخاك بوجهٍ طلقٍ)** صحيح مسلم ٢٦٢٦ ، فأنت لا تعلم ما المقبول من العمل وما المردود، فربما جلوسك لفك كرب مسلم يكون أفضل من نافلة قصرت فيها أو قراءة جزء من القرآن قرأته على عجل، فربما تركت صلاة الضحى مثلا للمشي في قضاء حاجة لأخيك المسلم فيكون تركك هذا أحب إلى الله من صلاتك وذلك لعظم عملك الآخر فهذا عمل نفعه متعدي.

- وتعلَّم الفرق بين الفاضل والمفضول، فالأصل أن الفاضل مقدم، لكن في بعض الأحيان يُقدم المفضول لسببٍ كما ذكرنا مثلًا.

- وقوله: " والأعمال " وهي تنقسم لأعمال ظاهرة وباطنة

- أما الأعمال الظاهرة : كالصلاة والصيام والحج وتلاوة القرآن ، وكالدعوة إلى الله على بصيرة، فنزولك من بيتك وذهابك للمسلمين وتحرِّيك لأحوالهم وما يقصرون فيه ومايحسنون وكلامك معهم عن الله ورسوله حتى ولو كانت كلمات يسيرة مما علمك الله، فكلما تعلمت علمًا - أية، حديث، قول لأهل العلم - بلِّغه قدر ما تستطيع، فذلك من أعظم الأعمال عنده سبحانه.

- وقوله و " الأعمال الباطنة " :التي هى أعمال القلوب ، وهي كثيرة كالإخلاص و اليقين، الصدق والمحبة والإخبات والرضا والصبر والإنابة، وغيرها. فمثلما نجتهد في تخلص القلب من أمراضه ، علينا الاجتهاد في تعبد القلب لله عز وجل بأعمال وعبادات تُرضيه.

س٥ : متى يكون العمل عبادة ؟

ج: إذا كمل فيه شيئان وهما كمال الحب مع كمال الذل، قال الله تعالى(وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا للهِّ) [البقرة:١٦٥]، وقال تعالى(إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ) [المؤمنون:٥٧] ، وقد جمع الله تعالى بين ذلك في قوله(إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [الأنبياء: ٩٠] .

* تعلمنا قديمًا أن العمل عبادة، حتى أننا نرى الرجل يعمل لساعات طوال وتمر عليه الصلاة تلو الصلاة ولا يصليها ، فإن لامه لائمٌ قال إن العمل عبادة وأنا أعمل ولا وقت لدي للصلاة، فمتى يكون العمل عبادة حقًا ؟

- الأعمال الدنيوية تكون عبادة لله عز وجل إن احتُسِب فيها الأجر وصَلُحت فيها النية لتكون له سبحانه ولا تُقدم أبدًا على العبادات المفروضة على العبد.

- فمن يعمل أي عمل مشروع - مهندس، دكتور، مدرس - ولا يضيع فروضه، ولا يقيم شرع الله في بيته ويترك رعيته دون توجيه وإصلاح بحجة أنه منشغل في عمله الذي هو عبادة، نقول له لا يكون العمل عبادة أبدًا إلا إن جددت النية لله وحده، وفعلت ما افترضه عليك أولًا، فإن استحضرت النية أن مالك الذى ستجنيه من هذا العمل سينفق على الزوجة لتكفيها وعلى الأولاد لتعفهم عن سؤال الناس فهنا يكون عبادة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ) [مسلم : ١٠٠٦] ، وفي نفس الوقت

يكون هذا الطلب غير مُقدم على العبادة التي افترضها الله عليك، فلا تقصر في صلواتك، ولا تضيع من تعول بحجة جني الأموال فهذا والله خسران ما بعده خسران.

- وأيضًا من يعمل وعمله يشوبه المحرمات، كمن تذهب لعملها وهي متبرجة فإن نُصحت قالت ظروف العمل تقتضي خلع الحجاب والعمل عبادة فهو مُقدم على ارتداء الحجاب، فما الذي يجبرك على العمل في مكان يمنع الحجاب ويمنع الصلاة ويبيح الاختلاط وغيرها من المحرمات ؟ هذا والله كلام نسمعه من نساء المسلمين الآن، ولا حول ولا قوة إلا بالله

- فالعمل ليكون عبادة يجب أن يتم فيه شيئان كمال الحب مع كمال الذل، فإن تصدقت تصدقت بذُل، وأنت تعلم أن الذي رزقك المال هو الله، وهو قادر أن يسلبه منك إن أراد، وتعلم أنه إن أراد قبل صدقاتك وإن لم يرد لم تُقبل، وتعلم أنك قد تكون الأدنى يومًا ولست الأعلى، فإن علمت تلك الأمور أخرجت صدقاتك بذُلٍ تام عالمًا أنك لا فضل لك فيما تفعل بل وتخرجها بحب وتسأله تعالى أن يتقبلها منك، فالمال مال الله وهو القادر عليك.

- واعلم أن ركني العبادة الحب والذل ، وشرطيها الإخلاص والاتباع، أربعة أمور عليك تحريها بدقة، فأركان العبادة كالأعمدة إذا سقط أحدها سقطت.

- فاعبد الله بحب وأقبل على طاعته ما استطعت، وكن له عبدًا ذليلًا خاضعًا، تسأله سبحانه أن يتقبل منك القليل، وأن يعفو عن ما شاب عملك من خلطٍ وتقصير.

الإخلاص

- فلو طلبت العلم الشرعي على سبيل المثال امتثالًا لأمر الله وحبًا لدينه وأردت بعلمك هذا إزالة الجهل عن نفسك وعن غيرك ونفع المسلمين كان عملك لله خالصًا، ولتسأل الله القبول والتوفيق، أما إن طلبته لجاهٍ دنيوي أو رياءً وسمعة ليقال قاريء وعالم ، أو لحظ

نفس أو خالط طلبك هذا نية سوء، فما حققت الإخلاص ولضاع جهدك هباءً في الآخرة، فلو وسوس الشيطان للعبد في إخلاصه فعليه بتجديد النية، أما لو زين له البدعة فعليه بالاتباع ولا يكون الاتباع إلا بالعلم.

الاتباع

- فعلى العبد أن يعلم أنه مأمور باتباع أفعال النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله ولا يخالف أو يفارق فعله قط، ففي اتباعه هذا نجاته، فهديه خير الهدي وفعله أحسن الفعل، ونتعلم هذا الاتباع بتعلم أفعاله وأقواله ولا يكون ذلك إلا بتعلم الفقه، فأتعلم فقه الصلاة لأعلم أصلاتي صحيحة على هديه صلى الله عليه وسلم أم لا، أتعلم فقه الطهارة لأعلم هل وضوئي وغُسلي صحيح أم لا، أتعلم الزكاة لأعلم هل أخرجها في ميقاتها وبقدرها الصحيح أم لا، وهكذا.

- فتعلم العلم إما فرض كفاية وإما فرض عين، فما ذكرنا هو فرض عين على كل مسلم، فكما أن هناك أمور أُمِر بها العبد بعينه لا تسقط من عليه إلا بفعله هو لها، كذلك تعلم تلك الأشياء واجب عليه هو بعينه أيضًا، فلا تصح صلاة العبد - التي هي عماد الدين - إلا بتعلم كيفيتها، وكذلك الطهارة، وكذلك الزكاة لمن وجبت عليه، وهكذا، فالأمر ليس اختياري أو لقضاء الأوقات.

- فإن لم يفعل العبد ذلك ويهتم بتحصيل علم الدين، وقع في البدعة ولا بد من حيث لا يدري، فمن يتمسك بأدعية الوضوء المشتهرة بين المسلمين الآن كدعاء اللهم آتني كتابي بيميني، وكدعاء اللهم نور لي وجهي يوم العرض عليك، وما شابه ذلك لا يعلم أنه بأدعيته تلك قد أتى ببدعة، لكن إن كان محبًا للسنة وعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ما قال مثل تلك الأدعية حين طهوره، وعلم قدر الاتباع وأن كل عمل ديني ليس عليه فعل النبي صلى

الله عليه وسلم مردود عليه لانتهى فورًا عن مثل تلك الأشياء، ولما وجد الشيطان عليه سبيلًا، ومعلوم أن كثيرًا ممن يقومون بذلك ومثله لا يقصدون المخالفة لكن فعلوه جهلًا، لذلك علينا بالعلم لنحقق الاتباع الذي هو أمر الله جل في علاه لعباده أجمعين.

دليل حب الله عز وجل

- اعلم أن كل ما سنذكر في دروسنا لا يكون إلا بالدليل، وتعلم دومًا أن العلم عن الله عز وجل وعن رسوله لا يكون إلا بدليل، فأدلة وجوب حب الله كما ذكر المصنف في الكتاب والذي بين أيدينا، قال الله تعالى(وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا للهِّ) [البقرة:١٦٥] .

دليل الذل له سبحانه:

قوله تعالى(إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ) [المؤمنون :٥٧]، وقوله: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [الأنبياء:٩٠] ، وقد جُمع فيها الحب والذل

- مع العلم أن هذا الكتاب ميسر جدا والأدلة فيه ليست كثيرة وذلك لتيسير فهمها وحفظها على الدارسين، لكن الأدلة في كل مسألة مما ستتكلم فيه كثيرة جدا في الكتاب والسنة لا مجال لحصرها كلها الآن.

س٦ : ما علامة محبة العبد ربه عز وجل ؟

ج: علامة ذلك أن يحب ما يحبه الله تعالى ويبغض ما يسخطه، فيمتثل أوامره ويجتنب مناهيه و يوالي أولياءه و يعادي أعداءه، و لذا كان أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض فيه .

* تكلمنا عن الحب والذل والإخلاص والاتباع ، أربعة أمور لتحصيل ثمرة العبودية، ولكن كيف أحب الله عز وجل ؟ وكيف أذل له سبحانه؟ وكيف أخلص له أعمالي وأقوالي، وكيف أتبع نبيه صلى الله عليه وسلم؟

- كي يحقق العبد محبة الله جل وعلا يجب عليه امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ثم المسارعة في القيام بالنوافل.

- جُل المسلمين لديهم حب فطري لله عز وجل، لكن درجات هذا الحب تختلف من عبدٍ لآخر، فحتى تكون ممن يحبون الله عز وجل عليك بفعل أوامره واجتناب نواهيه، أما إن أردت أن تكون ممن يحبهم الله سبحانه، فعليك بالإكثار من النوافل.

- فالمُحب إن علم أن ربه الذي يحبه قد أمره أن يصلي بل ويحب سبحانه الصلاة، سارع فيها وجَدَّ، وإن علم أنه أمره بالصيام والزكاة، لأصبح من الصائمين المنفقين، وإن علمت المسلمة المُحبة أن الله عز وجل أمرها بطاعة الزوج، أطاعته ابتغاء وجه الله تعالى، وهكذا.

- وكذلك نهى الله عز وجل عباده عن الكذب والسرقة والزنى وفُحش القول، فالعبد المحب الصادق ينتهي عن كل ما نهى عنه خالقه ومولاه، فإن فعلت ذلك فأنت محب له، حققت محبته كما أمرك، فالمحب لا يخالف أمر من يحبه ويسعى ويبذل الجهد لتحقيق أوامره، حتى وإن كانت على غير مراده.

- كيف تكون من أحبابه؟

- ارض بأوامر الله وقضائه ولو كان ضد هواك، وتعبد له بالنوافل، قال تعالى في الحديث القدسي (**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ..**) البخاري: [٦٥٠٢]، فافعل الفرائض أولًا تتقرب لربك جل وعلا، ثم اجتهد في النوافل تكن من أحبابه، واحذر تلبيس الشيطان، فقد يزين لك النافلة فتقدمها على ما افترضه الله عليك، كمن يتصدق ويترك الزكاة، ويصلي القيام ويترك صلاة الفجر، وتقرأ القرآن وتتبرج، فالبداية هي فعل الأوامر وترك النواهي، والارتقاء في مدراج الكمال

وفي طريق محبة الله عز وجل تكون بالنوافل، فمن يعق والديه ويضيع الصلوات ولا يزكي عن أمواله ثم هو يحفظ القرآن ليعلم بذلك أنه على خطرٍ عظيم.

- وربك لا يظلم أحدًا، لكن تلك الحسنات التي تحاول جمعها مع تفريطك في الفروض لا تغنيك أبدًا عن القيام بحق الله وما أوجبه هو عليك، ولا تجعلك من الناجين يوم القيامة إلا أن يشاء الله عز وجل شيئًا.

- ولو أن اثنتين من نساء المسلمين إحداهما ارتدت الحجاب وتركت التبرج أو مايسمونه حجابًا وهو والتبرج سواء بل ربما كان أشد فتنة من غيره، تركته خوفًا من العقوبة، فهذه محبة لله عز وجل، والأخرى ارتدت الحجاب الشرعي محبةً لأوامر الله ومحبةً لما يُحبه سبحانه فهذه أشد حبًا من الأولى، فهي لا تفكر إلا في مرضاته، فتقول إن كان أمرني فسأطيع، إن كان لا يحب التعري فسأستتر، إن كان هذا شرعه فسأستسلم فقط لأني أحبه وليرزقني حبه ورضاه.

من علامات محبة الله عز وجل بغض أعدائه.

- فالمحب له يستحيل أن يكون محبًا لأعدائه، فهذا وذاك لا يجتمعان أبدًا، فإن كنت محبًا لوالدك وعلمت أن هناك عدوًا له يعاديه ويحآده وأنت تعترف بمحبتك لهذا الشخص، أفتدعي محبة أبيك مع محبة عدوه ! لا يجتمعان.

ولله المثل الاعلى - المثال فقط للتوضيح - فغير المسلم هو ممن افترى على الله كذبًا وعاداه، فلا يجتمع محبته مع محبة الله عز وجل ورسوله في قلب مسلم أبدًا، أما من اعتاد زمالة غير المسلمين ويدَّعي محبتهم كما يُروج لذلك من يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، حتى أنه وصل الحال عند بعض بنات المسلمين أن تطلب الزواج من شباب النصاري، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فأولئك محبتهم ناقصة ولديهم خلل يجب التحذير منه، وهذا لا يعني الظلم أو المحاربة لغير المسلمين، فقد أمرنا الله عز وجل بالعدل والقسط في المعاملة معهم

وعدم الجور والمعاملة الطيبة، قال تعالى: { لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [الممتحنة : ٨]، فلو طلب جارك النصراني المساعدة فعليك مساعدته، لو حل كرب بزميلٍ لك منهم فاسع في تفريج كربه، لا ضير في كل هذا بالطبع، (وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) البقرة ١٩٥

لكن الحديث الآن عن المحبة القلبية، كيف نحب من يدِّعي لربنا ولدًا ! كيف نحب من يعتقد أن الرب قد صُلب وقُبر ومات وأهين وأنجب الولد ! قال تعالى: (لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا- تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا - أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا) مريم ٨٩-٩١، وكذلك اليهود وعباد الحجر والشجر والملحدين أيًا كانت المسميات ، وقد قال تعالى : { لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ } [المجادلة :٢٢] .

- وكذلك من يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يعادي صحابته، فكيف يحب أحد من يسب الصحابة ويسيء الأدب معهم، ويدَّعي في نفس الوقت أنه يحب رسول الله، وهو صلوات ربي وسلامه عليه المحب البار بصحابته.

ومن علامات محبة العبد الله محبة أوليائه

- لكن من هم أولياء الله ؟

- قال تعالى:{ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ - الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس : ٦٢-٦٣] ، فولي الله هو المؤمن المتقي له عز وجل، فهذا يُحب في الله ويُتمنى له كل الخير.

س٧: بماذا عرف العباد ما يحبه الله ويرضاه ؟

ج: عرفوه بإرسال الله تعالى الرسل وإنزاله الكتب آمرا بما يحبه الله ويرضاه ناهيا عما يكرهه ويأباه وبذلك قامت عليهم حجته الدامغة، وظهرت حكمته البالغة ، قال الله تعالى(رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [آلعمران:٣١] .

* ليست القضية أن تُحبه أنت فقط، لكن القضية أن يُحبك اللهُ عز وجل أيضًا، فالأفعال التي يُحبك الله عز وجل من أجلها كثيرة، عرفناها من الكتاب الذي أرسله الله عز وجل لنا وهو القرآن العظيم عن طريق رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وكذلك بقية الأمم، فهو سبحانه يحب التوابين، المتطهرين، المحسنين، وغيرها الكثير، لا مجال الآن للحديث عنها لكن يمكن الاستزادة منها في مقالات بعنوان " كيف تكون من أحباب الله" نفعنا الله وإياكم.

س٨: كم شروط العبادة ؟

ج: ثلاثة: الأول: صدق العزيمة وهو شرط في وجودها، والثاني :إخلاص النية، والثالث : موافقة الشرع الذي أمر الله تعالى أن لا يدان إلا به، وهما شرطان في قبولها.

* الإخلاص والاتباع وأضاف الشيخ صدق العزيمة .

- والمقصود من صدق العزيمة أن يكون العبد صادق فعلا في إرادته وعزمه على فعل الشيء، وقد يكون العبد مخلصًا ولكن يفتقد صدق العزم، فالبعض يقول أريد حفظ القرآن، وهو يريده بالفعل ابتغاء وجه الله تعالى لا رياء ولا سمعة، لكنه متكاسل فيقول أريد الحفظ

ولا يحفظ، فهذا لم تصدق عزيمته، وهذا لا ينافي إخلاصه ولا يفسد عمله، فكل من يصدق الله فهو مخلص، وليس كل مخلص قد صدقت عزيمته بالفعل.

- وهناك من يفعل بعض الأوامر، ليدخله الله الفردوس الأعلى من الجنة وهو مخلص في ذلك، لكنه لم يصدق في عزيمته فيتكاسل عن الصيام والقيام وقراءة القرآن، ولا ينافي ذلك كونه مخلصًا لم يطلب بفعله إلا وجه الله، وهكذا.

- فلو صدق العبد عزمه لامتثل أوامر الله، واجتنب نواهيه. والإخلاص نفسه يحتاج لصدق عزم فيه لتحقيقه، فكثير ما يدعي البعض أنه مخلصًا، فإذا تعرض لما يُختبر به زلت قدمه وظهر عدم إخلاصه.

- وكم من مرة سمعنا من البعض فيها نريد التوبة نريد الرجوع إلى الله ولا نستطيع ! فنقول لهم لو صدقتم الله صدقكم الله عز وجل ولا بُدّ؛ فربنا تواب، غفور، لا يرد تائب صادق في توبته، فهو من يقول هل من تائب! هل من مستغفر! لذلك نقول لكل من يريد التوبة اصدق العزم، واعلم أن ربك أكرم من أن يُرد عنده أحد، فإن رأى منك خيرًا وصدقًا وفقك. لكن ما هي التوبة ؟ الإقلاع عن الذنب، والعزم على عدم العودة إليه، والندم عليه، ورد الحق لأهله إن كان الذنب في حق العباد.

س٩ : ما هو صدق العزيمة ؟

ج: هو ترك التكاسل والتواني وبذل الجهد في أن يصدق قوله بفعله، قال الله تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) [الصف :٣٢]

* لا يصح في حق المخلص المحب الصادق أن يقول ويتمنى ثم يسوِّف ويؤجل ولا يفعل، فرب العزة يذم مثل ذلك، كما قال في سورة الصف (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)، فإذا قلت أريد التوبة، أريد رد المظالم،

أريد ترك الربا، أريد طاعة الزوج وبر الأم، فإن كنت صادقًا ستفعل على الفور، أما التأجيل والتكاسل والتواني ينافي صدق العزيمة، والله تعالى أعلى واعلم.